العم / ناصر الهمـــلان
- رحمه الله -

كتبه ابنه /أحمد بن ناصر الهملان - ١٤٣٧هـ

كعادة الناس في الترحال والتنقل حال ضيق اليد وشظف العيش بحثاً عن لقمة العيش وعن أسباب الحياة الكريمة في مكانٍ آخر.
وفي أوائل القرن الهجري الماضي حصل جذب وفقر ومرض في نجد، مما اضطر بعض أهلها للرحيل إلى بلدان مجاورة كالكويت والعراق والشام وغيرها.
ومن الأسر التي رحلت إلى الكويت من أسرة آل ماجد « الهملان والهوشان».
وفي هذه الصفحات سنتكلم عن العم ناصر بن عبدالله الهملان، وهو أول من رحل للكويت من آل ماجد .
إن السيرة العطرة والأثر الطيب للعم ناصر الهملان « رحمه الله » خلدا ذكراه بين أقاربه ومحبيه .
كان «رحمه الله » رجلاً جاداً ذكياً سخياً متواضعاً ودوداً وفياً للجميع، وكان يستقبل بالحفاوة والترحيب كل ما يأتيه من ثادق وغيرها، يحب الجميع ويحبونه.
وهذه الأسطر البسيطة شيء من الوفاء والعرفان لهذا الرجل الكريم العطوف « أبو الأيتام» كمايسميه البعض.
حدثني الوجيه عبدالعزيز المعجل بأنه سافر إلى الكويت قبل أكثر من ٥٥ سنة وعمره لم يتجاوز ١٢ عاماً للعلاج في مستشفاها، يقول: طالت مدة علاجي لأكثر من سنتين، وكنت وحيداً صغيراً مغترباً عن أهلي، فإن نسيت فلن أنسى ناصر الهملان الذي لم يقطع زيارتي ولاالسؤال عني وتفقد حالي، كان أباً حانياً صادقاً،وفياً وافياً في عواطفه وبذله لكل من يعرفه.
والقصص في ذلك كثيرة ولكن لا يتسع المجال لذكرها، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه بالإحسان إحساناً وبالتقصير عفواً وغفراناً .
هذا هو العم ناصر الهملان في عيون ووجدان من عرفه، الرجل التقي النقي، الذي امتلأ قلبه بخشية الله، وسما في أخلاقه وتعامله واتسم بالفضل والنيل والجد والمثابرة.
رفع الله في الجنان منزلته وجمعنا به في مستقر رحمته.
عندما طلب مني أبناء العم في مجلة الأسرة كتابة بعض المعلومات عن سيرة والدي ناصر العبد الله الهملان ترددت بعض الشيء، لأنني خشيت طغيان العاطفة وغياب التجرد، ولكني تحت الإلحاح قررت أن أكتب ما تيسر لي مع محاولة مغالبة العاطفة ما أمكنني.

ولد ناصر عبدالله الهملان في ثادق عام ١٣١٠هـ كان والده يعمل برعي الغنم ، وأمه هي موضي بنت عبدالرحمن الربيعة، ولم يتمكن «رحمه الله» من الدراسة أو تعلم القراءة والكتابة، ولكنه كانيتمتع بذكاء ومثابرة عوَّاضاه بعضما فقده من نور التعليم، وعندما توفي والده كان عمره قد قارب العشرين وعنده أخوان لم يتجاوز عمر أكبرهما سبع سنوات وكان في تلك الفترة يعمل جمَّالاً لينفق على أسرته .
في عام ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م رحل إلى الكويت تاركاً أخويه في رعاية عمته سارة الهملان.
عمل في عامه الأول مع أحد (النواخذة) الذين يجلبون الماء من شط العرب، لأنه لم يدرك موسم الغوص ذلك العام، ثم بعد ذلك عمل سبع سنوات متواصلة في الغوص مع نواخذة آخرين بطريقة « الغوص العزالي» وهو أن يدفع للنوخذة أجر معامه وما يقدم له من خدمات تساعده على الغوص ويعطى النوخذة نسبة مما يحصل عليه من اللؤلؤ.
ثم تحول بعد ذلك إلى العمل بالتجارة متنقلاً بين العراق والكويت، ولقد أخبرني أنه كان يشتري سجادة واحدة ويحملها مشياً على الأقدام لمسافات طويلة ليربح فيها مبلغاً زهيداً بمقاييسنا الحالية، ثم بدأ يتوسع قليلاً فسافر في رحلات تجارة إلى تركيا والهند، فتحسنت أحواله بعض الشيء.

وأخيراً استقر في الكويت، حيث تشارك مع العم المرحوم صالح العلي اليحيى ، وكانت لوادي « رحمه الله» خبرة واسعة في تجارة السجاد والبخور.
كان « رحمه الله » شخصية محبوبة،كريماً يبذل بصمت، وقد اشتهر بالتقوى والورع،إذ يراقب مرضاة الله سبحانه في أي عمل يقوم به سواء تجارياً أو اجتماعياً ويحاسب نفسه على ذلك أشد الحساب ، وكان في مجلسه لا يغتاب أحداً ولا يذكر غيره بسوء ، وهو مع ذلك متحدث لبق لطيف إذا تحدث .
ومن المواقف التي تركت في نفسي أثراً كبيراً أن من عادته أن يخرج مع عدد من الأصدقاء في نزهات برَّية أيام الربيع، وفي عام ١٣٧٦هـ - وكنت وقتها في السادسة أو السابعة من العمر - قرر هو وبعض أصحابه الخروج في نزهة برية ، وفي الطريق توقفوا لأداء صلاة الجمعة في جامع الجهراء قرب مدينة الكويت، فلما نزل والدي من السيارة لأداء الصلاة وهم بالدخول للمسجد، إذ بالإمام يسلم لانتهاء الصلاة، فرجع وقد ارتسمت على وجهه ملامح الحزن والألم والتأثر مما أقلقني وأنا طفل صغير ، ثم تنحى جانباً وهو يبكي حتى لا يراه أحد، وأدركت لاحقاً أن هذه الدموع سببها حرقته لفوات صلاة الجمعة .

كان يردد دائماً « رحمه الله» أن حب الوطن من الإيمان، وكان يقول لم أنم ليلة إلا وثادق بين عيني، وكان يعرفها تمام المعرفة جبالها شعابها رياضها، ويعرف أهلها جيداً خصوصاً آل ماجد ، حتى إن بعض الشباب من أبناء العمومة كانوا يعجبون عندما يزورونه لأنه يعرف من شأن ثادق وأهلها ما يجهلونه هم !

له جلسة يومية « رحمه الله» في ديوانه بين صلاة المغرب والعشاء ، يزوره فيها كثيرٌ من أصدقائه وأعيان الكويت، وقد أمضى حياته ساعياً في حاجة الناس فكسب محبتهم وأحبه القريب والبعيد.

وقد تزوج زجتين هما : والدتي نوره صالح علي اليحيى وأنجب منهما ١٢ ولداً هم : عبدالله ، سليمان «رحمه الله »، عبدالرحمن ، محمد ، أحمد ، عبدالعزيز، علي ، إبراهيم ، حمد، عبدالكريم، يوسف، عبدالوهاب و٦ بنات هنَّ : سارة، موضي، منيرة، فاطمة « رحمها الله» حصة ، لولوة.

وفي أواخر أيامه فوض على أعماله وتفرَّغ للعبادة واللقاءات الاجتماعية، وأخبرتني إحدى أخواتي أنها تلمح بعض الأحيان الدمع في عينيه فسألته عن ذلك فأخبرها أنه تمنى لو شهدت والدته النعمه التي هو فيها فأمكنه من إسعادها والزيادة في برَّها.

وفي جمادي الآخرة عام ١٤٠٢هـ هطلت أمطار غزيرة على منطقة ثادق وامتلأ سدها الذي تم بناؤه قبل سنوات قليلة فأخبرنا أنه ينوي الذهاب لمشاهدة السد وما تجمع من مياه وأنه سيسافر بعد فجر يوم السبت.

فحضر جميع أولاده وبناته للسلام عليه يوم الجمعة ٢٩ جمادي الآخرة ، وكذلك جمع من أصدقائه بعد صلاة المغرب كالعادة ، ثم صلى العشاء في المسجد وعاد إلى البيت وأكل ما تيسر، ثم صلى بعض السنن وسنة الشفع و الوتر وتمدَّد على الأريكة، فبدأ يسعل فجاءته أختي وسألته ما بك يا أبي ؟

وكان يتشهد فأجابها مبتسماً « فيني الموت يا بنيتي »، فوضعت يدها على رجله فوجدتها باردة فاستدعت بعض إخوتي فحضروا وحملوه للسيارة للذهاب به إلى المستشفى، فتوفي في السيارة مساء يوم الجمعة الموافق ٢٩ جمادي الآخرة ١٤٠٢هـ عن عمر يناهز ٩٢ عاماً ، كانت جنازة مشهودة سار فيها خلق كثير، وقد وقفنا نستقبل المعزين في المقبرة حتى صلاة المغرب، واستمر العزاء ثلاثة أيام حضر خلالها الكثير من أهل الكويت أعياناً ومسئولين وعامة، جزاهم الله خيرا.

ومن الأشياء الجميلة أننا وجدناه قد حسب زكاته قبل موعدها بشهر كامل وجهز كشوفها، فكأن الله أكرمه قبيل وفاته بأن قدر له أن يودع أهله وأصدقاءه وأن يتم حق الله في ماله قبل رحيله ، رحمه الله رحمة واسعة .